

الحلقة الخامسة

سلسلة: من يقول الناس إنني أنا؟

أنوار كاشفة

" أنا هو نور العالم "

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. نتابع في لقاء اليوم حديثنا عن حقيقة شخصية المخلص المسيح، وإن كان هو مجرد نبي كباقي الأنبياء أم شخصية مختلفة؟

وكنا قد بدأنا قبل لقائين بالتأمل في تصريح المسيح أنه هو القيامة والحياة، الذي أكد أنه هو فعلاً ابن الله. وتأملاً في المناسبة التي قال فيها هذا التصريح الهام، وهي عند إقامته للعازر بعد أن كان له أربعة أيام في القبر.

وتابعنا في اللقاء الماضي الحديث عن هذه الحقيقة الهامة، أن المسيح هو القيامة والحياة. فلقد شفى المسيح رجلاً مقعداً منذ ثمان وثلاثين سنة عند بركة بيت حسداً، مما أغضب اليهود، لأن المسيح شفاه في يوم سبت. لكن المسيح واجه اليهود وقال لهم أنه أخذ سلطته للعمل من الله الأب نفسه، الذي أعطاه أيضاً السلطان لكي يقيم الأموات ويدينهم. وأن من يؤمن به له حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة. وأن الساعة قد أتت الآن لكي يسمع الأموات روحياً صوت المسيح الذي هو ابن الله، والسامعون يحيون. وأنه ستأتي ساعة أخرى فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرجون إلى قيامة الحياة، وقيامه الدينونة.

سنأمل اليوم أعزائي بتصريح هام آخر للمسيح، وفي المناسبة التي قال فيها هذا التصريح. ألا وهو قوله: " أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة." (بشارة يوحنا ٨: ١٢)

لقد دون لنا البشير يوحنا في الأصحاح الثامن من بشارته عن لقاء هام حصل بين المخلص المسيح ومعلمي الشريعة اليهود. فبينما كان المسيح يعلم جمهور الشعب في الهيكل، إذا بالكتبة والفريسيين يحضرون إليه امرأة أمسكت بزنا. ثم أقاموها في الوسط وقالوا للمسيح: يا معلم هذه المرأة ضبُطت وهي تزني. وقد أوصانا موسى في الشريعة أن مثل هذه تُرجم. فماذا تقول أنت؟ سألوه ذلك لكي يخرجه ويجدوا تهمة يشتكون بها عليه. لكن يسوع المسيح انحنى وبدأ يكتب على الأرض. وبعد أن حووا عليه بالسؤال، اعتدل وقال لهم: من كان منكم بلا خطية فليرمها أولاً بحجر. ثم انحنى وعاد يكتب على الأرض. فلما سمعوا هذا الكلام أخذت ضمائرهم تبتكتهم، وبدأوا جميعاً بالانسحاب واحداً تلو الآخر ابتداءً من الشيوخ إلى الآخرين. وبقي يسوع المسيح وحده والمرأة

واقفة في الوسط. وعندما انتصب المسيح ولم ينظر أحدا سوى المرأة، قال لها: يا امرأة أين هم أولئك المشتكون عليك؟ أما دانك أحد؟ أجابت: لا أحد يا سيد. فقال لها يسوع المسيح: ولا أنا أدينك. اذهبي ولا تخطئي أيضا. (بشارة يوحنا ٨: ٢-١١).

حقا إنه للقاء مثير جرى بين المخلص المسيح ومعلمي الشريعة اليهود. فقد ظنّ هؤلاء المعلمون أنهم وضعوا المسيح في فخ. فإن هو أمر برجم هذه المرأة الزانية لم يكن قد أتى بشيء جديد على شريعة موسى. وإن هو دعا لعدم رجم هذه المرأة الزانية، يكون قد خالف شريعة موسى وبكل وضوح، ويستحق المحاكمة من قبلهم. لكن المسيح الذي هو كلمة الله الأزلي عرف كيف يواجه سهامهم الشريرة، فوقعوا هم بالفخ عوضا عنه.

وعلينا أن نلاحظ هنا أن معلمي الشريعة من اليهود، لم يُحضروا الرجل الذي زنا مع هذه المرأة الزانية، حسب الشريعة، وبذلك يكونون قد خالفوا الشريعة التي كانت تأمر برجم المرأة والرجل الزانيين كليهما. لقد وضع المخلص المسيح أولئك المعلمين على المحك، عندما قال لهم: من منكم بلا خطية فليرمها أولا بحجر. فهو أكد لهم حقيقة هامة كانوا يحاولون تجاهلها، وهي أن كل البشر خطاة ومذنبون ويستحقون الإدانة.

إن هذه المرأة الزانية ليست هي الوحيدة المذنبية التي تستحق الإدانة، بل إن كل إنسان هو خاطئ ومذنب ويستحق الإدانة. فكيف يمكن لمذنب أن يدين مذنبا آخر؟ ولهذا كانت النتيجة أن انسحب أولئك المعلمين بعد أن خزتهم ضمائرهم. وفي نفس الوقت كشف المسيح في هذا اللقاء، عن جانب هام آخر ألا وهو جانب الرحمة والمغفرة، عندما قال للمرأة الزانية: ولا أنا أدينك. اذهبي ولا تخطئي أيضا. وبذلك أكد أنه أتى لكي يرحم الإنسان ويغفر خطاياها. أجل صديقي المستمع، لقد تنازل المسيح من السماء، من أجل هذه الغاية، أي لكي يعد الطريق و يرحمنا نحن البشر الخطاة، وليهبنا الغفران الكامل، وما علينا إلا أن نتجاوب معه، بأن نتوب عن معاصينا ونؤمن به.

ثم عاد المخلص المسيح بعد هذه الحادثة مباشرة وكلم الجموع من حوله قائلا: " أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة." (بشارة يوحنا ٨: ١٢) هل تدري يا صديقي ما هو سبب وقوع الإنسان في أعمال الشر؟ إنها الخطية التي أعمت قلوب البشر أجمعين، فأصبحوا يعيشون في الظلمة. ولهذا تأتي أعمال الشر والإثم بمختلف أنواعها كنتيجة للخبث في الظلمة. لذلك كان لا بد للمخلص المسيح أن يعلن هذه الحقيقة الهامة في تصريحه هذا أنه هو نور العالم. نور العالم الحقيقي الذي أتى لكي يطرد الظلمة، ويحل مكانها النور. وعندها يستطيع الإنسان الذي يتبعه أن يسلك بالنور.

وكان البشير يوحنا قد كشف لنا في الأصحاح الأول من بشارته، عن ماهية هذا النور. فأخبرنا كيف أن الله قد أرسل يوحنا المعمدان أي النبي يحيى ليشهد للنور، لكي يؤمن الكل بواسطته. لم يكن هو النور بل ليشهد للنور. ثم أضاف قائلاً: " كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتيا إلى العالم. كان في العالم وكون العالم به ولم يعرفه العالم." (بشارة يوحنا ١: ٩ و ١٠) أجل لقد مهّد يوحنا المعمدان الطريق أمام مجيء النور، أي المخلص المسيح.

وعندما بدأ المسيح خدمته كان هو النور الحقيقي الذي أنار الناس، ولهذا لم يكن غريبا أن يقول المسيح عن نفسه: أنا هو نور العالم، أي هو النور الروحي الحقيقي الذي يطرد الظلمة من حياة الإنسان، ويحرره بالتالي من عبودية الخطية. لكن قول المسيح عن نفسه أنه هو نور العالم يعني أيضا حقيقة هامة أخرى. فهو يؤكد على أنه يحمل نفس صفات الله الأب. إذ كما نعلم كما تخبرنا كلمة الله أن الله نور وليس فيه ظلمة البتة.

وهذا يعيدنا إلى موضوع هذه السلسلة وهو معرفة حقيقة شخصية المسيح. فالمسيح ليس مجرد نبي كباقي الأنبياء، ولا رسولا كباقي الرسل، لكن المسيح هو كلمة الله الأزلي المتجسد، الحامل لصفات الله الأب والمعبر عنه. لهذا كتب البشير يوحنا قائلاً: "والكلمة صار جسدا وحلّ بيننا ورأينا مجده مجدا كما لوحد من الآب مملؤا نعمة وحقا." (بشارة يوحنا ١: ١٤) أجل إن المسيح يا صديقي هو صورة الله غير المنظور، وبهذا المعنى نستطيع القول عنه أنه ابن الله.

فما هو موقفك يا صديقي تجاه هذا النور الحقيقي الذي أتى وكان نورا للبشر أجمعين؟ هل تلجأ إليه فيطرد الظلمة من حياتك، وتستطيع بالتالي أن تنتصر على عبودية الخطية، وتسلك في طريق الخير والصلاح؟ أرجو أن تفعل ذلك، وألا تكون كاولئك الناس الذين تحدث عنهم المخلص المسيح عندما قال: " وهذه هي الدينونة إن النور قد جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة." (بشارة يوحنا ٣: ١٩)

وكما لاحظت من الحادثة التي أوردناها اليوم، إن الله مستعد ومهما كانت خطاياك كثيرة وكبيرة، أن يرحمك ويغفر خطاياك. فلقد أتى المسيح خصيصا وقام بالتكفير عن خطايانا بموته على الصليب وقيامته الظاهرة.